Religious Heritage in Bedr Shakir Alsiyab's Poetry

Lect. Maryam Abdulnabi
Center for Arab Gulf Studies
University of Basrah

Abstract

The research endeavors to uncover the axis implemented by Bedr Shakir Alsiyab through the use of religious heritage in clarifying his philosophy and his special relation with the universe. The poet uses codes of prophet , religious characters, Quranic stories, religious places , Islamic religious signs and religious Christian signs. These codes constitute an icon that represents glorification of the selected experience towards spiritual horizons.

التراث الديني في شعر بدر شاكر السّياب

م.م. مريم عبدالنبي عبدالمجيد
مركز دراسات الخليج العربي – جامعة البصرة

الملخص :

التزم البحث الكشف عن المحاور التي تبناها بدر شاكر السياب في تضمين التراث الديني بشعره لإعلاء فلسفته وعلائقه الخاصة مع الكون ، عبر شفرات : الأنبياء ، شخصيات ذات بعد ديني ، القصص القرآني ، أماكن ذات طبيعة دينية ، إشارات دينية إسلامية وإشارات دينية مسيحية ؛ لتكون في فضاء النص إيقونة ترمز إلى التسامي بذات التجربة المنتقاة نحو آفاق روحية تشف عن ملمح تطابق وتضاد وتواز بين تجربة الماضي وتجربة الآنا في الآن 0

مدخـل :

يمتلك عنصر التراث رؤيا خاصة لمكونات تكشف عن شبكة من العلاقات التي تتوافر في حضارة أمة ما تتلخص عندها تجربتها الإنسانية ، هي كل التقاليد والأعراف والعادات والفنون والعلوم والأخلاق التي يشترك فيها أبناؤها ، لتكوين أصالة تؤطر حضارتها ، مهمتها إنتاج قيم ونتاجات تتفرد بها وتلمح إلى خصوصية تضيف إلى ثقافتها الشيء الكثير0

أما التراث الديني فيشمل كل مظاهر العقائد الدينية التي تمثل القيم المستخلصة من أصل الدين ، ويشمل أيضاً الطقوس والشعائر التي يحتويها المضمون الديني ، التي تفصح عن ممارسات خاصة يرتبط بها الإنسان مع العالم الروحي 0

ويحتوي المضمون الديني إشارات خاصة هي دعوة نحو الكمال في الفعل في العلاقة مع الذات ثم العلاقة مع الآخر ، لتكون تلك العلاقة المنبثقة عبر إيمان خاص متداخلة ومتراكبة ، منطلقة من نقطة صافية تبدأ منها الذاكرة حين تشكل منهج حياة متكامل فيكون توجه الأنا إنطلاقة لتدير مناطق الجدب والهزال والعقم في ذات الأنا ، حيث الأخذ بمنزلة معادل متلازم لتحقيق وجود فاعل في الحياة ، نصيبه من السعادة أوفرها ومن الشعور بالإطمئنان الداخلي 0

وقد دخل التراث في الميدان الأدبي بكافة جوانبه ، وكان الشعر من أهم الأبواب الجمالية التي استوعبت مضامينه ، مستلهمة جوانبه العديدة لإغناء النص بالتجارب الحية للأمم والحضارات 0

وكان التراث الديني من ضمن الآثار المهمة التي دخلت هذا الميدان ، كان الشاعر من خلاله يستلهم ذاكرة العقيدة بداخله ، للتعبير عن تجاربه وأفكاره ومشاعره في إطار النص الذي يحدد رؤى خاصة يريد بثها ، فالدين ذاك الجانب الروحي المتأصل في كيان الإنسان (والشاعر) ، يمده بنسغ آخر للتواصل مع الحياة ، لنجده يتسلل بهدوء إلى داخل النص بعفوية تعكس عاطفة الشاعر وفكره الذي تبنى تأكيد حقيقة ما مرتبطة بهذا المضمون التراثي العالي القيمة 0

وكانت القيم الدينية والأفكار المنبثقة عن العقيدة تتعانق في فضاءات النصوص الشعرية بتداخل فني يتميز به كل شاعر على حدة ، ليعكس تجاوبه مع هذا الجانب الروحي ، وليؤشر قيمة فنية ومعنوية في النص ، تكشف موقفه تجاه الكون ، حينما يفتح فضاء خاصاً منزوعاً من داخل ذاته ، مازجاً بين تجربته الخاصة المراد التعبير عنها بالشعر ودواخله الواعية وغير الواعية ، متمثلاً من خلال التراث وتوظيفه فنياً لتشكيل صورة تعكس عناصره وتجاربه وأفكاره في نسق خاص يتبناه النص بفضاءاته الواسعة ، ليكون رمزاً مستمداً من أعماق الشاعر حيث البعد النفسي المنبثق من معاناته الخاصة في الحياة ، التي يستعين بها لتشكيل سمات تؤشر فكرة أو عاطفة يحاول رسمها بالنص ، وهو ((في حقيقته موقف مبني على وعي إجمالي مسبق ، كونته الذات

بمقدار معين ، وساهمت العوامل الأخرى (الثقافة – والمجتمع – والإيديولوجية – والعصر) في تكوينه أيضاً))[1]

أما مضامين التراث الديني التي تبناها الشعر العربي ، فقد شملت القيم الإسلامية التي جاءت بها عقيدة الإسلام ، والمنبعثة في الأساس من عدة مصادر شكلت الدين الإسلامي ، جاء في مقدمتها القرآن الكريم ، فيبدو استلهام الشعراء للمضامين المتعددة التي جاء بها القرآن ماثلاً في استيعاب معانيه وأفكاره بتضمينها في فضاءات النص عبر الصورة الفنية أو اقتباس بعض الألفاظ والعبارات والقصص والمثل القرآني وكل ما يتعلق بالأنبياء والصالحين وغيرهم ممن ورد ذكرهم في الكتاب الكريم 0

وقد دخل في مضمون التراث الديني في الشعر العربي ، عديد من القيم والعادات والأفكار المستمدة من سير الشخصيات العالية القيمة ، والمؤثرة تاريخياً في النفس الإسلامية بما امتلكت من أخلاق راقية مثل شخصيات الخلفاء الراشدين والزاهدين والمتصوفة0

ونجد في التراث الديني الداخل في دائرة الشعر العربي إشارات إلى ديانات أخرى ، مثل الدين المسيحي أو اليهودي أو غيره من الديانات الوثنية ، تستلهم الكثير مما جاء من حوادث أو أفكار وشخصيات برزت في هذه الديانات لإغناء النص بصور خاصة تتزاوج مع الفكرة الأساس أو العاطفة المراد بثها في القصيدة 0

فيكون التراث الديني داخل النص شفرة أو رمزاً يستخدمه الشاعر بذكاء بعد أن يضفي عليه سمات خاصة ليكون الارتباط المعنوي والفني في فضاء النص متلاحماً مع هذه الشفرة ، بوساطة الإشارة إلى قصة ما أو شخصية أو حدث أو مكان يتطلبه الموقف الراهن ، يكون الرمز التراثي قيمة معنوية في النص وفنية ، ترفد القصيدة بروح خاصة ، وتفتح مجالات واسعة للتأويل تعطي للنص قيمة عالية 0

ويكشف تفاعل الشعراء مع التراث الديني عن ارتباط خاص مع قيمته في النفس البشرية ، فيكون النص إنبعاثاً لهذا الإرتباط ونوعية تلاحمه مع روح الشاعر الذي تبنى إدخال مضمون هذا النوع من التراث في نصه ، ليجعله متوفراً على بناء أساس يؤكده انبعاث قراءة هذا التراث في ثقافة الشاعر، ليجعل قصيدته نابضة بالحياة متوفرة على قيم راقية لا مجرد أفكار محدودة الدلالة 0

ولعل النماذج التي يختارها الشاعر من هذا المضمون الروحي تدل دلالة خاصة على نفسية الشاعر ذاته ، وتبرز موقفه الخاص وأفكاره بصورة واضحة يؤكدها تضمينه للأفكار والمواقف المنتقاة من صلب التراث الديني الواسعة ، يكون محور الترابط بين الروح الشاعرة ونوعية الإنتقاء وتوظيفه ، دالة تفتح نوافذ عديدة لمشاعر الشعراء وفكرهم يمكن الولوج إليها عبر تأويل النص 0

التـراث الديني في شعر السيَّاب :

يتوفر السياب على مهارة خاصة في بناء النص الشعري وما يفرزه من تكوينات ، تتفتح على آفاق ورؤى متميزة ترشحت عن موهبة وثقافة واسعة الحدود 0

أما تعامل السياب مع مضامين التراث فقد جاء بالتزامه التنوع في إيراد هذه المضامين بكافة أنواعها : الأسطورية والأدبية والشعبية والتاريخية والدينية ، كان التراث في النص الشعري السيابي معبراً عن معاناة خاصة أو فكرة تنفتح تلقائياً على معاناته ، متوجاً فضاء القصيدة بنسق رمزي فريد ، جعل منه تواصلاً آنياً مع الماضي في تلازم معنوي عالي القيمة ، يقوم على استمرار في التجارب الإنسانية العامة ، ((وإذا كان السياب مسكوناً بقانون الوحدة التاريخية ، فإن صلته بالتراث في معناه الأدبي هي التي ظلت قائمة فحسب ، بل وبتراثه الشخصي ، حيث كان لهذه الصلة الفعل الأقوى والأعمق تأثيراً))[2]0

وقد تطور أسلوب السياب في التعامل مع التراث بتطور ثقافته ، فنجد استخدامه لهذا المضمون وطريقة إدخاله في النص الشعري لم تتخذ نمطاً متكرراً واحداً ، إنما يميل كل نص إلى التفرد سواء بالصياغة أو بالتوظيف المعنوي0

كان استخدام السياب للمضمون التراثي نابعاً من براعة خاصة مرتبطة في الأساس بموهبته الفريدة في نسيج الشعر، إذ لم يكن توظيفه للتراث مجرد تقليد أو اتباع نسق جديد في الحداثة الشعرية ، إنما كان استعماله لهذا المضمون مرتبطاً دلالياً مع عمق تجربته ومعاناته الشعورية والشعرية ، فيبدو التراث في عمق العمل الشعري السيابي وكأنه ضرورة لازمة لا يمكن للنص أن يقوم بدونها 0

وهذا الإيحاء الخاص الذي يثيره استعمال الرمز التراثي الذي يستحضره بفنية عالية ، يبرز في فضاء النص ليدعم الدلالة العامة للقصيدة ، فكان السياب في قصائده يمارس طقوساً شعرية خاصة يستحث بها النص ليعبر عن تجربة يحاول أن يفرغها فنياً ، وكان الشعر بالنسبة له نزيفاً شعورياً ، كان النص لديه وعياً حاداً للتجربة ، فنجده يرى في سعيه في توظيف التراث فنياً وربطه مع معطيات الحاضر في دلالة النص العامة ، وكأنما يتعامل مع النص وكأنه كيان متكامل الأبعاد في تتابع زمني مبني على استمرارية في التجارب الخاصة للإنسان ، ((فعل الإستحضار بحد ذاته هو لازماني إذ إنه يبدو بلا تاريخ أو دليل ملازم له ، إنه في مكانية ثابتة أو لا زمانية ، وقد ينبجس الإستحضار داخل الوعي في أي زمان أو مكان مما يسبغ عليه صفة كونه ما وراء الزمان والمكان))[3]0

وقراءة السياب في قصائده في التراث الديني تؤشر نزوعه لاستخدام إيقونات خاصة ، تشكل محوراً معنوياً يسند إليه إعلاء فكرة أو عاطفة في القصيدة ، فتكون إرهاصا لتحقيق سمة دلالية وفنية في إيقاع خاص تميزت به قصائده ، وقد وظف السياب هذه الإيقونات المنتقاة بعناية في فضاءات نصوصه ليمظهر حالات وأوضاعاً فردية أو جماعية مكتسية بقناعاته ، أو نازعاً عليها صفات أخرى يؤطر بها حالات مفتوحة على فضاءات الحاضر الواسع ومعاناته الكبيرة ، في رؤية راقية للتراث الديني وما يشف عنه من رموز، وقيم 0

وقد توزعت إشارات السياب الدينية في استلهامه من معطيات الديانة الإسلامية ، متمثلة بالآيات القرآنية أو ذكر الأنبياء والصالحين أو الإشارة إلى أحداث وأقوام وأماكن ورد ذكرها في القرآن الكريم ، أو في مصادر أخرى ، كما يتطرق إلى ذكر بعض العادات والشعائر والطقوس الخاصة بالمسلمين ، يضاف إلى هذا إدخاله الكثير من الإشارات المسيحية التي تمثلت بشخصية السيد المسيح وأتباعه وبعض ما يتعلق بحياته وما تشف عنه الديانة المسيحية من عادات أو أفكار وأحداث ذكرت في القرآن أو الكتاب المقدس أو تناقلتها الثقافة العامة0

((ويتمثل استخدام السياب المادة الدينية سواء المسيحية منها أم الإسلامية في أسلوبين : الأول الاستخدام الرمزي الكلي الذي يشكل فيه الرمز الديني مادة القصيدة الأساسية مثل قصائد (المسيح بعد الصلب) و(أمام باب الله) و(سفر أيوب) و(إرم ذات العماد)...، أما الأسلوب الثاني في استخدام المادة الدينية في شعر السياب فهو أسلوب الإشارة الدينية أو الرمز الجزئي الذي لا يتعدى معنى الكناية أو التشبيه ، ويشمل ذلك العناصر المسيحية والإسلامية من المادة الدينية))[4]

قراءة متأنية لشعر السياب في التراث الديني تؤشر توظيفه للمحاور الآتية:-

الأنبياء :

كان للأنبياء وجودٌ فاعلٌ في الأرض ، ووجودهم يوفر صلة إدراك خاصة بين العالم الروحي والعالم الحسي 0

وقد جاء ذكر الأنبياء في ديوان السياب رمزاً يشف عنه النص لنقل موقف ورؤى تنطوي على كثير من الإبداع الفني الراقي المستوى ، يأتي الرمز دالة تنز عن بؤرة تضيء اكتشاف مناطق بعيدة من النفس والتجربة ، تتفاعل معها الحادثة أو السيرة الخاصة بحياة هذا العظيم ، لتنطوي تحت تجربتها أنساق شفافة كمعادل موضوعي لتواصل البشرية واشتراكهم في الهموم والمعاناة 0

فالمعاناة التي تنتظم حياة الشاعر تترسم في أدائه الشعري كفعل إبداعي يستطيع توجيه التجربة وإيجاد مواقف لها تتوظف ذاتياً في مساحات النص الشعري المديدة ، فتكون تشبيهاً عادياً ، أو تفتح النص على رؤى تشف عن الآخر فكراً أو عاطفة ؛ في اتحاد روحي غير محدود ، أو

يبني مع الرمز علاقة حلزونية تتسرب في طيات النص بدءاً وانتهاء بتجربة الشاعر وتجربة الآخر (الرمز) ، وكأنما يأتي هذا الرمز في طيات النص حلما يثير تبني قوى في الروح الشاعرة من أجل التغيير، إنه ثورة أحيانا على كل ما يشد إلى النكوص والعقم والجدب ، أو قد يكون ذكره تحدياً لكل ما يستدعيه واقع الحياة من ألم وضعف وجمود ، يأتي عندها الرمز أداة فاعلة في كشف الزيف ، ليكون من ثم أملاً حقيقياً في واقع التراث ساهم في إثراء الحياة بالخير والخصب ، يقول السياب : ((عندي إن الثورة الناضجة نوع من أنواع التطور: إنها استعراض للماضي ، للتراث وإهمال الفاسد منه ، والسير بالشيء الحسن إلى الأمام))[5] 0

في الحياة المعاصرة للشاعر عانى خواء الحاضر وعقمه المتفشي في أجواء المدينة الصاخبة ، التي جاءها محملاً ببراءة الريف ونقاءه ، فعمد إلى التمرد على واقعه ذاك ، وكان التمرد في نصوصه موقفاً شعورياً وشعرياً ثريا ً، منبعثاً من موقف روحي داخلي لرفض التخلف والهزال وتجاوزه 0

وقد يكون النص إرهاصا بالقلق ، ووسيلة لكشف هذا القلق في خطوة للتسامي به عبر فضاءات الكلمة الشاعرة ، ففي ذكر السياب لشخصية النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم في قصيدته (في المغرب العربي) إشارة تثير الإفصاح عن انحياز تام نحو رفض موقف الصمت ، ليحدد مصيراً خاصاً ينشده في رؤى ينثها فضاء النص في دائرة تحيط بذاته الخاصة ، يأتي ذكره تحريضاً على الثورة اقتداء بالسيرة المميزة التي يستشف منها خلال كينونتها المميزة أفكارا خاصة يحملها إلينا نصه يقول :

وكان محمد نقشاً على آجرةٍ خضراءْ
يزهو في أعاليها..
فأمسى تأكل الغبراء
والنيران ، من معناه ،
ويركله الغزاة بلا حذاء
بلا قدم
وتنزف منه ، دون دم ،
جراح دونما ألمِ
فقد ماتْ..
ومتنا فيه ، من موتى ومن أحياء
فنحن جميعنا أموات[6]

يبدو أن الهاجس الذي يتحرك به السياب داخل النص ، وهو الثورة والتمرد ، يدفعه إلى تمثل هذه الثورة ، متخذاً من شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم رمزاً يترشح بوساطته النزيف الشعوري للفرد العربي ، بما يفرزه الإستعمار وما ينز عنه من استباحه وحشية للمقدسات ، وبه يتمثل قيمة عليا للتمرد في وجه الواقع المقيت ، تنث عنه استخدامه لهذا الرمز في إشارة واعية يربط بها الواقع مع الآخر في تجانس فني عالي القيمة ، فيختم القصيدة بقوله:

ومن آجرةٍ خضراء
عليها يكتب اسم الله بقيا من دم فينا
أنبرٌ من أذان الفجر؟ أم تكبيرة الثوارْ
تعلو من صياصينا..؟
تمخَّضت القبور لتنشر الموتى ملايينا
وهبَّ محمد وإلهه العربيّ والأنصار:
إن إلهنا فينا[7]

وقد يكون الرمز هو الشاعر ذاته بكل ما يحمله من ألم ، وبكل ما تضطرب حياة الآخر من مواقف ، ولعل إحساسه الشديد باغترابه والمرض الذي يسحقه ما يدعوه إلى إسقاط تجربته عبر أنساق النص الشعري الذي حمله مهمة الكشف والدواء ، في بنية تكاد أن يتفرد بها السياب دون غيره ، فهو (أيوب) في توحد خاص حين يقول :

لك الحمد مهما استطال البلاءْ
ومهما استبدَّ الألم ،
لك الحمد ، إن الرزايا عطاء ،
وإن المصيبات بعضُ الكرمْ
ألم تُعطني أنت هذا الظلام
وأعطيتني أنت هذا السحرْ؟
فهل تشكر الأرض قطر المطر
وتغضبُ إن لم يجدها الغمام؟ [8]

فجاءت نصوصه متكئة على ثورة داخلية للخلاص في بناء درامي عالي الشعرية ، متخذاً من رمزه من حياة الأنبياء إرهاصا لعملية التغيير التي ينشدها ، ((سنلاحظ أن النفس الديني القانع الراضي الذي قد نلمحه في (سفر أيوب) و(قالوا لأيوب) ليس في حقيقة الأمر رضى وقبولاً ، فالسياب يعترض (أليس يكفي أيها الإله) ، إنما هو تعويض يقوم مقام الأسطورة ، وعودة إلى ما

كانت التضحية امتداداً له ، يمكن السياب من أن يوازن بين السلب والإيجاب ، بحيث لا يصبح المرض الطويل القاسي عبثاً لا مبرر له))[9] 0

وهذا الإغتراب الذي تشرب به والمرض حمله فضاءات نصوصه ، مضفياً عليها دلالات منتزعة من موقف رؤيوي حاد لواقع التجربة المعاشة ، وتجسيدها على الواقع الآني ، في روح شعرية متميزة ، فالتغيير بدا لديه هاجساً للتخطي نحو البراءة الأولى من جديد ، والتي يضفيها على نصوصه في ذكره لذاك العالم النقي البعيد ، وقد تحقق له ذلك عبر تكونيات قصائده ، باختياره صوراً لمواقف وحيوات هؤلاء العظام بتحديها ورفضها وتضحيتها ومحاولة تغييرها للواقع مهما كان مشوهاً ، فيأخذ من شخصيته السيد (المسيح) قناعاً له ، يقول :

بعدما أنزلوني ، سمعتُ الرياحْ
في نواح طويل تسفُّ النخيلْ ،
والخطى وهي تنأى إذن فالجراح
والصليب الذي سمَّروني عليه طوال الأصيل
لم تمتني وأنصتُّ كان العويل
يعبر السهل بيني وبين المدينة
مثل حبل يشدّ' السفينة [10]

وهو بهذا الإعلاء يبرز موقفه الشعري والحسي في الحياة والأحياء حوله محاولا أن يفتح طر يقاً أخرى للخلاص عن طريق الإقتداء فقد أصبحت قضيته الأساس هي العودة إلى الأصل ، الذي يتبنى العالم الأول الذي فقده في مجتمع المدينة ، التي جلبت إليه الخواء والمرض ، فما كان له إلا أن يتحد روحياً بعالم نقي عالي القيمة ، يعتمده لبث أفكار ورؤى ومواقف يريد لها أن تكون ، ((وحين نعود لاستقراء الجانب الفني للقناع في هذه القصيدة ، نجد الشاعر قد أخفى صوته كلياً في صوت قناعه ، ولم يلتزم تماماً بالمضامين الدينية لشخصية السيد المسيح ، وكانت الشخصية القناع تنمو مع نمو أفكار الشاعر ومواقفه في اتجاه واحد ، لتكتسب السمة ذاتها في التعبير عن الهم الإنساني))[11] ، فكان الشعر جنوحاً إلى رصد هذا المنحى لديه ، في نزعة خاصة لتعريف الآخر برؤاه عبر هاجس الشعر الذي يسكنه ، حيث الإستبطان الروحي الذي ينز عنه هذا الهاجس 0

وكانت رؤى السياب تشف عن سحر خاص مليء بأجواء روحية تبنتها رموزه الدينية ، وقد وجدناه يبني رؤياه تلك على بعد مكاني وزماني خاص ، يجعل منه أرضية صلبة لواقع معاناته وأفكاره وإرهاصا عالي المستوى لغده المنتظر، في صورة شعرية وجدناها تحمل في صياغتها وعياً للتجربة المنتقاة في حدود خاصة تترسمها بفنية عالية 0

صور السياب هنا تنفتح دلالياً على تعينات متحققة في صلب الوجود الحي لواقع عاش تجربته ، وهو هنا يرمز بذاك الوجود الحي هروباً من تجربته ، لكنه في الوقت نفسه يغوص في عمق التجربة ، لعله هروب من الخاص إلى العام الذي حمله رموزه تلك المضمخة بعبق الماضي ، لعله في اتكائه على هذه الرموز والتي برزت في بعض نصوصه إشارة واعية إلى فكر الشاعر وإيديولوجيته ، فيأتي ذكر النبي (أيوب) والنبي (نوح) في مقطع واحد يشف عنه قوله :

يا رب أيوب قد أعيا به الداءُ
في غربةٍ دونما مالٍ ولا سكنِ ،
يدعوكَ في الدُّجَنِ
يدعوك في ظَلَموت الموت : أعباءُ
ناد الفؤاد بها ، فارحمه إن هتفا
يا منجياً فلك نوحٍ مزِّق السدفا
عني ، أعدني إلى داري ؟، إلى وطني![12]

السياب يتبنى جدلية بين ذاته والتجربة ومادة أخرى في محاور تنوعت لديه ، مستخدماً أنماطا خاصة للتكوين الشعري والإرتفاع بالتجربة إلى مستوى التعبير الفني الراقي ، وتموضعه في وعي الشاعر وهواجسه ، منطلقاً إلى إبداع نموذج ينهض بمهمة الإفصاح بوساطته يقتحم ضعفه وعجزه من خلال ، الوعي التام لتجربة الآخر في الماضي ، فإذا به يخرج إلينا عن سمو واقع روحي كان اختياره له موفقاً ، يقول ذاكراً خروج النبي (آدم) من جنته :

كالحيتين، خصور آلاف الرجال المتعبين
الخارجين ، خروج آدم ، من نعيم في الحقول
تفاحة الدم والرغيف وجرعتان من الكحول
والحية الرقطاء ظل من سياط الظالمين[13]

على أن تجربة الشاعر النصية في توظيفه هذه الرموز تدور في محاور ورؤى شعرية متباينة ، معلنا بذلك عن اختلاف مناحي المعاناة المراد التعبير عنها ، ليكتسي النص حلة تتحقق دلالياً عبر تطويع تجربة الآخر، لتناسب ما يراد التعبير عنه في موقف آني يخص الشاعر وقناعاته حين كتابة النص 0

تجربة الماضي إذن لا تصادر الشاعر بتجلياتها ، إنما واقع رؤاه ومعاناته هي المهيمنة ، وهي التي تضفي على النص تدفقه وحيويته ، ليتموضع الإنفعال مع العاطفة والفكر في تمازج فني

راق ، ونسق في التعبير خاص ، يكشف عن أصالة في الموهبة أثرت نصوصه بدفق عالي المستوى من الرؤى 0

شخصيات أخرى :

يفتح السياب في بعض نصوصه آفاقا لشخصيات دينية تأخذ موقفاً مميزاً في النص ، وبين القضية الأساس للشخصية ، والحلم الخاص للشاعر وقضيته ، بين الأصل التاريخي ومعاناة الإنسان الحديث ، تنقلنا رؤى النص الشعرية إلى فضاءات روحية وفكرية ، يقتحمنا بها في إشارات تنث عن حدس شعري خاص تبنته قصيدته ، ولما كان إحساس الشاعر بالموت هاجساً يرشح تداعياته في ذاته ، وتقلبات الحياة به وما رصدته له من مظاهر الخراب ، أصبح يبحث عن تجليات الحياة من داخل رحم الموت ، فيكون التشبث بالحياة عبر رمز شخصية (العازر) الذي أحياه المسيح وقام من قبره ثيمة مميزة تنتظم النص في قصيدة (سفر أيوب) ، آخذاً من الأصل الديني التاريخي رؤية خاصة فتح لها نصه على فضاءات روحية راقية ، فيقول :

ليتني العازر انفضّ عنه الحمامْ ،
يسلك الدرب عند الغروبْ ،
يتمهّل لا يقرع الباب : من ذا يؤوب
من سراديب للموت عبر الظلام؟ (14)

بينما نجده في (مدينة السندباد) ينتصر للموت في مواجهة الحياة عبر توظيفه لشخصية (العازر) ذاتها ، فنراه يردد :

مَنْ أيقظ ((العازرَ)) من رقاده الطويل؟
ليعرف الصباح والأصيل
والصيف والشتاءْ ،
لكي يجوع أو يحسّ جمرة الصدى ،
ويحذر الردى ،
ويحسب الدقائق الثقال والسراع
ويمدح الرعاع(15)

انتصاره للموت في هذه القصيدة إنعكاساً للخراب النفسي الذي يعانيه الإنسان الحديث ، والآلام التي تترشح عبر مسميات الحضارة وماجلبته من خواء يتفشى ويمد خيوطه كالعنكبوت في مفاصل الحياة 0

وهناك نبرة مميزة في استعماله لرموز الشخصيات الدينية ، فنجد لكل شخصية يختارها مهمة دلالية تكون شفرة لفتح أبواب التجربة المراد التعبير عنها في القصيدة ، هي ذلك الصوت الخاص بسموه أو بتمرده أو ضعفه حاملاً رصيده من الوعي الذاتي للشخصية وما مرت به من تجارب بعيدة في الزمان ، ((وهذه الشخوص أو المواقف إنما تستدعيها التجربة الشعورية الراهنة ، لكي تضفي عليها أهمية خاصة ، فالتجربة إنما تتعامل مع هذه الشخوص والمواقف تعاملا شعرياً على مستوى الرمز، فتستغل فيها خاصة الامتلاء بالمغزى أو بأكثر من مغزى))[16]، فيكون المتمنى ما تنثه سيرة الشخصية الدينية المنتقاة من الوجود الحي في التاريخ ، والتي يستحضرها آنياً لرفد الحاضر بعبق نقي ، كذكره لشخصية السيدة (مريم العذراء) في قوله :

على جواد الحلم الأشهبِ
أسريتُ عبر التلال
أهرب منها ، من ذراها الطوال ،
من سوقها المكتظّ بالبائعين ،
من صبحها المتعَبِ
من ليلها النابح والعابرين
من نورها الغيهب ،
من ربها المغسول بالخمرِ،
من عارها المخبوء بالزهر،
من موتها الساري على النهر[*]
يمشي على أمواجه الغافية
أواه لو يستيقظ الماء فيه،
لو كانت العذراء من وارديه[17]

ولعل نبرته الخاصة المستمدة من صوت الشخصية ، تتبنى تأكيد موقف الشاعر وإيمانه الراسخ بانتصار قضيته ، وأحيانا بانهزامه ، هذا الصوت صرخة في وجه الواقع العقيم الذي يستفزه مقتديا بالآخر في صرخته ، التي يحاول أن يرتفع بها إلى آفاق الحرية والسلام والخير0

إنه يضفي انفعالاته على مظهر يستمده من توحد في الفكرة والتجربة للشخصية المنتقاة ، أو نراه يخلق حالة تضاد في التجربة منحرفاً بالإنفعال نحو أزمته هو التي لا يحتملها الموقف التاريخي لأصل التجربة ، فيجعل من شخصية (هابيل) في واقع معاناته معادلا موضوعيا (لقابيل)

الذي يرمز إلى دوافع الشر في الذات الإنسانية ، ليبرز موقفه من الحياة المعاصرة التي تساوى فيها الخير والشر، يقول :

فازحف على الأربع... فالحضيض والعلاء
سيّان والحياة كالفناء!))
سيّان ((جنكيز)) ، و((كونغاي))
هابيل قابيل وبابل كشنغهاي[18]

أما استلهامه لشخصية (يهوذا) الذي يرمز للخيانة فيوحي بالقيود التي تشده إلى أرض الواقع ، ويبدو ضعفه وعجزه بالرغم من ثورته على الواقع ، ونرى أيضا امتلاء النص بإحساس الإغتراب الذي يلفه ويشده إلى ضعفه وعجزه أكثر فأكثر، الشفرة الدلالية تشف في النص عن وعي الشاعر لغربته الروحية وحزنه الشفيف الذي يتشظى عبر أنساق القصيدة متصلاً مع رمزه بكيفية واعية ، عبرت عن قدرة السياب الشعرية في توظيف الرمز الذي ينم عن كينونة مميزة في صلب النص الشعري ، يبحث من خلاله عن أنساق عالية المستوى دلالياً لتكون ذاكرة مهيمنة على النص، في أسلوب يتكئ على إيجاد قيمة حيوية لتفاعل الرمز مع التجربة الشعرية الإنفعالية ورفعها إلى مستويات روحية عليا ، فيقول :

يا جواداً راكضاً يعدو على جسم الطريح
يا جواداً ساحقاً عينيَّ بالصخر السنابك
رابطاً بالأربع الأرجل قلبي
فإذا بالنبض نقرٌ للدرابك
وإذا بالنار دربي
سحَّت الرؤيا ضياء من لظاها
صابغاً ما تبصر العين القريح
مازجاً بالشيء ظلَّه
خالطاً فيها يهوذا بالمسيح
مُدخلا في اليوم ليله[19]

هو يعمد إلى كسر التوقع دلالياً ، فنجده ينبعث من طريق مضاد لواقع التاريخ في تجربة الشخصية (الرمز) ، لبلوغ حالة من التمرد على واقعه الذي يستفزه ، كأنه يضع قارئه في صدمة قابلة لتأويل موقفه الشعري النابع من واقع معاناة يحتفظ بها في كيانه الشعوري الذي يحاول تجسيده في فضاءات القصيدة ، فيبدو توظيفه لشخصية (عزرائيل) في مطولته (حفار القبور) استحضاراً

حاداً يستفزه صوت الشخصية المحورية في النص ، التي تبحث عن الموتى لكي تعيش ((ليتفوق في التطبيق الأدبي والتجريب الشعري فيبلغ بهذه الأخيلة حد استبطان حفار القبور بل حد استبطان نفسه متخفياً في جلد الحفار))[20]، يقول :

هو ذا المساء
يدنو، وأشباح النجوم تكاد تبدو، والطريق
خال – فلا نعشٌ يلوح على مداه.. ولا عويلْ –
إلاّ النعيب
وتنهّد الريح الطويل!
وعلام تنعب هذه الغربان ، والكون الرحيبْ
باق يدور... يعجّ بالأحياء مرضى ، جائعين
بيض الشعور كأعظم الأموات – لكن خالدين
لا يهلكون؟ علام تنعب؟ إن عزرائيل ماتْ!
وغداً أموت ، غداً أموت![21]

فجاءت رموزه متنوعة الدلالات التي تترشح عبر فضاء القصيدة ، ليقطع خيوط اتصالها بواقعها البعيد ، ويخلع عليها واقعه هو، فتكون هي امتداداً حياً لتجربته ، منطلقاً من هاجس داخلي للتحول وفتح مسارات أخرى للحياة ، موظفاً كل طاقات رموزه ليجسد بها علاقة جدلية بين الواقع والحلم ، وبين الماضي والحاضر، وهو هنا يشف عن طبع شعري تلقائي صاف ، ومنه ذكره لشخصية (حواء) التي يستفزه حبها حد الرضا بالعار والطرد من الجنة ، فيقول :

ويصرخ آدمُ المدفون فيّ : رضيت بالعار ،
بطردي من جنان الخلدِ أركض إثر حواءا
أريدك ، ثم تطوى موجة وتطير أشلاءا
فقاعات من النيران ، من شوق وتذكارِ[22]

والسياب في تركيبته هذه التي ترتكز على دالة محورية تسود أجواء النص ، يصدر عن صورة خاصة لذاته وخطوط معاناتها مع الحياة 0

القصص القرآني :

توزعت نماذج القصص القرآني التي استلهمها السياب في نصوصه لتكشف عن دلالة تشف عن أناه ، ومعاناتها ، ((على أن هذه النماذج التي تدل في صلبها على المصدر القرآني ، الذي

فجر منه الشاعر ما يعينه في موقفه الشعوري ، ليست إلا صورة صريحة نسبياً من صور العلاقة التي تربط الشاعر المعاصر بالنص القرآني))[23] 0

فكانت الحادثة الدينية داخل الفضاء النصي توظف بطريقة تحدث تفاعلاً حياً بين الصورة الشعرية المرسومة بعناية ، وواقع القصة ، يضاف إليها ما يضفيه عليها من ترسبات تجربته الخاصة ، تكون الدلالة الكلية للنص مزيداً من الوعي الذي يستنبطه الشاعر والمتوفر من جزئيات الحادثة ، يدعوه إلى تكريسه شعرياً في الزمن الحاضر، فيكتسب النص حلة واقعية يستثيرها من خلال خطوط معينة لتفسير أمنية خاصة يريد بلوغها ، ونراه يعود إلى ما يثير أجواء الحكاية التي يستحضرها من بوتقة الماضي ، فيقول مستلهماً قصة السيدة (مريم العذراء) حين جاءها المخاض قرب النخلة ، جاعلاً في قصيدته تساقط المطر من السعفات ، معادلاً رمزياً للرطب المتساقط على العذراء ، فاتحاً بذاك عالماً للنور والخير، في ذكرياته مع الشناشيل وما تثيره في روحه من أحلام شفافة :

وتحت النخل حيث تظلُّ تمطر كل ما سعفة
تراقصت الفقائع وهي تفجر – إنه الرطبُ
تساقط في يد العذراء وهي تهزُّ في لهفة
بجذع النخلة الفرعاء (تاج وليدك الأنوار لا الذهب ،
سيصلب منه حبُّ الآخرين ، سيبرئ الأعمى
ويبعث من قرار القبر ميتاً هدَّه التعبُّ
من السفر الطويل إلى ظلام الموت ، يكسو عظمه اللحما
ويوقد قلبه الثلجي فهو بحبه يثبُ!)[24]

وقد وجد في الشعر مساحات واسعة من الحرية يسبغها على واقع الحكاية الدينية ، منبعثاً من شعور حاد بالغربة ، شعور باللاجدوى ، لذلك نراه وبوساطة النص يتحد مع الآخر عبر الحكاية المقدسة ، لكنه في اتحاده ينفتح في اتجاه مضاد لواقع القصة التي أرادها أن تفصح في ذاك الاتجاه الشعري الخاص عن عقم واقعه ، فيقول موظفاً قصة (حراء والعنكبوت) :

هذا حرائي (**) حاكت العنكبوت
خيطاً إلى بابه
يهدي إليّ الناس إني أموت
والنور في غابة
يلقي دنانير الزمان البخيلْ

من شرفات في سعفات النخيل[25]

نراه ينشئ صلاة يبتعثها من الواقع الديني ، لكنه يمزقها بخلق جسور أخرى للتعبير عن قلقه وتمرده وعزلته اللانهائية ، وكان شعوره ينز في النص عن تجليات معاناته تلك ، التي وجد النص فيها انفتاحات على عالم مشوه لا تحده حدود ، ((وحراء لدى السياب صورة رمزية للفكر الذي يحمله ، فهو في غار فكره ، ولكن النبي ينتظر الوحي الإلهي والشاعر ينتظر الإلهام الفكري ، الخلاص من سطوة الذين ينتظرونه خلف خيوط العنكبوت على بابه ليقتلوه ، كما أرادوا قتل نبيه من قبل ، وهو ذو دلالة على العزلة النفسية والفكرية عن المجتمع ، والتصادم معه ، فالشاعر بهذا البعد الرمزي للمكان ذو رسالة مقدسة كالنبوة ، التي يتخذ منها قناعاً لفكرته ، ولكن عنكبوت النبي موهت مخبأه ، أما عنكبوته فهو يرى إنها تهدي إليه ، أي إنها تقتله))[26] وحينما نقرأ :

أكاد أسمع العراق يذخر الرعودْ
ويخزن البروق في السهول والجبال ،
حتى إذا ما فضَّ عنها ختمها الرجالْ
لم تترك الرياح من ثمودْ
في الواد من أثرْ
أكاد أسمع القرى تئن ، والمهاجرين
يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع ،
عواصف الخليج ، والرعود ، منشدين :
مطر...
مطر...
مطر...
وفي العراق جوعْ[27]

السياب في هذا النص ينتزع من قصة (ثمود) الوارد ذكرها في القرآن الكريم شفرة تنز عن إرهاصة لغد الثوار الذي ينفتح في مخيلته لتحقيق عالم أكثر خصباً ونماء ، بعد أن تزال بأيديهم مكامن العقم والتسلط والظلم عن كاهل الشعب ، كما أزال الله قوم ثمود في الزمن الغابر 0

وقد نتوصل إلى سبر أغوار بعيدة في نفسه الشاعرة عبر ممرات الحكاية التي أراد لها أن تكون شفرة دالة لا نهاية لها ؛ ولعل الأمل الذي يعتري السياب في إمكانية خلاصه ، يتنازعه شك قلق يستند إلى هزائمه المتكررة في واقع الحياة ، فتبدو نصوصه في دلالاتها النهائية متأرجحة بين اليأس والحلم ، بين حضور الأمل وغيابه ، وقد تحضر عزلته فضاء القصيدة بشكل حاد ليعود من

ثم إلى غربته الروحية الملازمة ، التي تتدفق مع مسارات النص ودلالاته الموحية ، فنرى القصيدة تشعر بدائرية التجربة 0

وعندما تكون الحكاية إيماءة لشيء يُشعر بمعاناة ما ، فإن النص يكتسي كينونة لذات الشاعر المشربة بتلك المعاناة فنراه في توظيفه للمدلول العالي لقصة النبي (عيسى) وما ترشحت عنها من معجزات ذكرت في القرآن الكريم ، يفتح كوة تفصح عن خواء الحياة المعاصرة وعقمها المتفشي في مفاصل الأشياء حوله ، يقول :

خُيّل للجياع أنّ كاهل المسيحْ
أزاحَ عن مدفنه الحجر
فسار يبعث الحياة في الضريح
ويُبرئ الأبرص أو يجدّد البصر؟
من الذي أطلق من عقالها الذئاب؟
من الذي سقى من السراب؟
وخبّأ الوباء في المطرْ؟[28]

إنه إقرار خاص بلحظة يصبح فيها النص وسيلة لبث وإدراك ومحاولة إعادة تنسيق الإنهيار التي تنز عنه تلك المعاناة ، وكأن الحكاية تشاركه معاناته باتحاد خاص ، تصبح شكلاً للتواصل الإنساني بمنظور شعري يأخذ سماته من خطوط رقيقة يتشارك بها واقع المعاناة مع الآخر0

وقد يربط بالقصة وبشكل ظاهر بين مقدرته على الفعل واقتدائه بمضمونها ، بوساطة الخيال الذي يثيره في أجواء النص الذي يربط به بين الواقعين : البعيد الذي يمثله التراث ، والآني الذي يمثله واقع تجربته المعاصرة ، ونلاحظ بشدة هذا التزاوج في قصيدة (قالوا لأيوب) ، وفيها يقول:

قالوا لأيوب : "جفاك الإله "
فقال : "لا يجفو
من شدّ بالإيمان ، لا قبضتاه
تُرخى ولا أجفانه تغفو"
قالوا له : ((والداء من ذا رماه
في جسمك الواهي ومن ثبّته؟))
قال : "هو التفكيرُ عمّا جناه
قابيل والشاري سُدى جنّته
سيُهزم الداء : غداً أغفو[29]

على أن توظيف القصص القرآني في شعر السياب ، وإحكام انتقاء نماذج القصص يكسو النص بحلة واقعية تكون فيها حياة الشاعر بادية الظهور، إنما يضفي عليها الخيال وتوظيف القصص ملامح تراثية ، ليأخذ أنا الشاعر المحور الأساس الذي تدور حوله أنساق القصيدة ودلالالتها الموحية ، كقوله موظفاً قصة (إبرهة والفيل) :

فيا قبر الإله ، على النهار
ظل لألف حربة وفيل
ولونُ إبرهه
وما عكسته منه يد الدليل ،
والكعبة المحزونة المشوَّهه[30]

إن انتقاء هذا الأسلوب يطبع النص برؤيا معاصرة لواقع الحياة التي يعيشها الإنسان الحديث ، الذي وجد نفسه في مجابهة رموز شريرة تنبع من واقع المدينة ، التي لم تزده إلا اغتراباً وضياعاً ، كان النص متفتحاً على وعي معرفي خاص في ذاك الزمان البعيد ، يحمله لنا الجو العام للقصة وتراكماتها في الذاكرة سلفاً ، فكان النص بها غنياً متنوعاً تمتد أواصر شعريته عبر متاهات الزمان والمكان والشخصيات التي تمتلك ملامح خاصة في الذاكرة ، منها اختياره لقصة (يأجوج ومأجوج) الوارد ذكرها في القرآن الكريم ، آخذاً من فكرة بناء السد الذي قام به ذو القرنين للدفاع عن أقوام ضعيفة كانت معرضة للإعتداء من قبل قبائل شرسة هي قبائل يأجوج ومأجوج ، ليبرز موقفه الفكري والعاطفي من المدينة وعبر رمز المومس وما ينز عن حياتها من أحداث ، يقول :

سور كهذا ، حدّثوها عنه في قصص الطفوله :
"يأجوج" (***) يغرز فيه ، من حنق ، أظافره الطويله
ويعضّ جندله الأصم ، وكفّ ((مأجوج)) الثقيله
تهوي ، كأعنف ما تكون ، على جلامده الضخام
والسور باقٍ لايثلُّ 00 وسوف يبقى ألف عام ،
لكنّ (إن – شاء – الإله)
–طفلاً كذلك سمّياه –
سيهبّ ذات ضحىً ويقلع ذلك السور الكبير
.. الطفل شاب وسورها هي ما يزال كما رآه [31]

فكان الزمان والمكان يشارك في كتابة القصيدة عبر مسارات يتدفق فيها الرمز بكثافة وحدّة ، الزمان والمكان هنا له حضور مميز، وعناصر تعكس كوامن ذاتية لحيوات في الماضي البعيد،

جاء النص يتشارك معها ، ويعكس بمراياه أبعادها الواسعة ، حينما ينفتح على جدلية خاصة كانت تغلف المناخ العام لذلك الزمان البعيد 0

أماكن ذات طبيعة دينيـة :

المكان في شعر السياب نافذة تنفتح على ذكريات وهزائم واغتراب ، فكان يهاجر من مكان إلى آخر تاركاً ندوباً خاصة في ذاكرة وعيه ، ومثار أزمة ومعاناة ، وكان النص الذي يفتحه من كوة المكان الخاص وسيلة بحث عن حلم يستطيع به لملمة التشظي الذي يسكنه برحيله المستمر، ((فابتداءً بالفكر الميثولوجي ، نجد أن تصور الإنسان للزمان والمكان هو تصور حسي عيني))[32] 0

أما استلهام السياب لبعض الأماكن التي تمتلك سمة دينية ، فإنه ينفتح ذاتياً وعبر وعي خاص في الكتابة على تجربته هو في المكان النفسي الذي يسكنه 0

كل ما يمت إلى المكان يرتبط بمتاهاته النفسية ، وخواء الحياة حوله ، فكان التمزق يشمل أكثر الأشياء : المرأة والوطن والآخرون ، وحينما تغيب عواطف الطرف الآخر من سماء حياته ، تصير ذكرى المكان رمزاً للألم ، يصبح الإغتراب والوحدة الإطار الأساس الذي يطبع روحه ، ويكون المكان ذاكرة تعيش بداخله في كينونة الغياب العاطفي الذي يسكنه حدّ الكفر، فيقول مستلهماً الأثر الديني الذي تمتلكه (مكة) :

ظلال الليل . أين أصلينا الصيفي في جيكور؟
وسار بنا يوسوس زورق في مائة البلّور؟
وأقرأ وهي تُصغي والربى والنخل والأعناب تحلم في دواليها
تفرّقت الدروب بنا نسير لغير ما رجعه ،
وغيّبها ظلام السجن تؤنسُ ليلها شمعه
فتذكرني وتبكي ، غير أني لستُ أبكيها
كفرت بأمة الصحراء
ووحي الأنبياء على ثراها
في مغاور مكة أو عند واديها[33]

ويأتي توظيف العديد من الأماكن التي تمتلك سمة روحية خاصة في ذاكرة الوعي الديني ، عبر وقائع في صلب التاريخ ، يرشح من خلالها في فضاءات النص إيحاءات ورموزا ً، إنها إشارة حمراء يتكئ عليها الشاعر مقنعاً بغطاء الماضي البعيد ، ليعيد بناء مكانه النفسي مستلهماً من

ذاكرة المكان الآخر قراءة خاصة ، ونبوءة من الزمن ، تتواشج معها أبعاد معاناته في مكانه النفسي الخاص ، ومنها ذكره (للمسجد) بكل ما يحمله من أثر في النفس الإسلامية في قوله :

فأواه لو توقدين الشموع
لدى مسجد القرية المترب
تمدّ من النور خيطا تعلق فيه الدموع
ولو تضرعين ، مع المغرب ،
إلى الله : ((يا رب رفقاً بطفلي الصغير
وأبق أباه [34]

وفي هذا المنحى من قراءة المكان لدى السياب ، يأتي المكان ليشكل به إيحاء خاصاً ، إعادة لحدود كانت في الماضي وتفتحت على نتائج كان يسعى إلى إسباغها على واقع مأساته ، محاولا من خلالها أن يتوحد بمعاناته مع تلك المرجعيات البعيدة ، عبر النص الذي ينفتح لديه على مسارات وطرق وهواجس ودهاليز تتمركز في ذاكرته الشعرية عالية الثقافة ، لتتوافر على أبعاد ينتظمها سياق خاص لإعلاء التجربة وبثها في قالب شعري مميز، كذكره لجنة (إرم)(****) في قصيدته (إرم ذات العماد) ، ومنها قوله :

أحسّ في الصدى
برودة الردى ،
أشمّ فيه عفن الزمان والعوالم العجيبة
من إرم وعاد[35]

ويمتد البعد المكاني في النص ليضفي رؤى أكثر أصالة وقدم ، ليتحدث من خلال هذا البعد الراقي في سمو الأشياء في المكان الذي يمتلك في ذاته كوامن راقية لأبعاد روحية عليا ، ((إن المكان في (إرم) ذو صيغة زمانية استمرارية ، فهو آت من الماضي عبر ذاكرة الجد ، متجهاً نحو المستقبل عبر مخيلة الشاعر، ولذلك ظهر الزمان فيه كثيفاً محصوراً بين جدرانه ، حاملاً رائحة القدم التي تصل حد التعفن الزماني))[36] 0

هناك شيء مشترك في تجليات المكان الذي يشف في النص عن مساحة لهواجس الشاعر وتناقضاته ، الحياة والمرض والموت والحب والكره لا تنفصل عن تجليات المكان المنتقى ، ليبقى النص الأرضية التي يتلاقح فيها الشعر مع المنظور العالي لقدسية المكان الآخر في فضاء القصيدة ، رابطاً بشعرية عالية جدلياتها الروحية بعمق مع واقع مأساته ، يستقي منها اختياراً مميزاً يضفي على الروح الدلالية للنص شعرية راقية ، يقول :

صُلبَ المسيحُ فأيُّ معجزة
تأتي؟ وأيُّ دعاء ملهوف
ستزيح أبواب السماء له
إغلاقها؟! حبلٌ من الليف
هيهات يُرقى للسماء به
ليهزّ عرش الله تخريفي (37)

فالدلالة التي يستشفها الشاعر من حكاية المكان المقدس الذي يمثله (عرش الله) ، تكون مشبعة بتراكمات تاريخية سلفاً ، إنما هو يضفي على دلالاتها المشتقة من الواقع الديني البعيد كشفاً آخر، يشف عن محصلة تلاقح تجربته الخاصة مع الواقع الآخر البعيد 0

المرض في جسد السياب المحاصر بالموت وهواجسه التي لا تهدأ يشف في النص عن محاولة للتمرد عليه ، وتطويعه ، في المنطقة الأكثر حدة في فضاء النص الشعري والتي تجسد المعاناة الشعورية والفكرية ، ليصبح جسده المنهك نموذجاً للترحاب بالموت ، الدلالة الكلية للنص تنشد خلق صورة مضادة للمتمنى ، للتمرد على الهزيمة الروحية والواقعية في الحياة ، لتكون في المعنى الكلي أشد عمقاً وتمرداً على قسوة الموت والمرض ، يقول منتزعاً من الأثر الأخروي الذي يمثله (سقر) دالة منتقاة :

لو كان الدرب إلى القبرِ
الظلمة والدود الفرَّاس بألف فمِ
يمتد أمامي في أقصى أركان الدنيا.. في نحر
أو واد أظلم أو جبل عالٍ
لسعيت إليه على رأسي أو هدبي أو ظهري
وشققت إلى سقر دربي ودحوت الأبواب السودا ! (38)

المكان الديني في القصيدة السيابية ليس مادة النص الأساس ، لكنه يستحيل إلى عالم داخل فضاء النص الكلي ، يشف عن تجربة المكان الذي ينفتح على الفكرة الأساس للنص ويستوعبها0

إشارات دينية إسلامية:

في هذا الإتجاه كانت القصيدة تستوعب إشارات تشف عن إيقونات نمت في ذاكرة المسلم ، وغذت روحه منذ الطفولة ، لتأخذ من ثم مناحي خاصة في ذاكرة الشاعر، ومنها ذكره (لليلة القدر) بكل ما تحمله من قدسية وأحلام في قوله :

يا ليلة القدر نوراً أضاء لنا

قاع السماء فأبصرنا مدى عجبا
تنزّل الروح رفّافا بأجنحة
بيض على الكون أرخاهنّ أو سحبا[39]

هذه الإيقونات الخاصة تأخذ أشكالا متعددة ، وتنمو، لكنها تظل محتفظة برغم توالي الحقب بلمعانها الخاص ونضارتها ، حيث يقوم الواقع الحي بالتعايش معها وتغذية الروح الإسلامية بعبق روحي خاص ينفذ بألفة وحميمية من بوتقتها الشفافة 0

جاءت بعض تلك الإيقونات في نصوص خاصة للسياب أخذت من هواجسه منازل شعرية راقية ، بإفصاحه من خلال تبني النص لثيماتها العميقة الأثر في النفس خطوة راقية في السلم الصعودي للنص المفتوح على فكرة أو عاطفة تبنتها القصيدة ، رابطاً بدلالاتها الموحية مكونات خاصة في النص الشعري ، جامعاً شتاتها في فضاء واحد ينم عن شعرية راقية 0

يقول مستلهماً فكرة (النذور)، وما تفتحه من عوالم متمناة :

يا نهريَ الحزين كالمطرْ
أودّ لو عدوت في الظلامْ
أشدّ قبضتيَّ تحملان شوق عام
في كل إصبع ، كأني أحمل النذورْ
إليكَ ، من قمح ومن زهور[40]

وتأتي هذه الإيقونات الخاصة في القصيدة كالصدفة ، الشعر وفق هذا المنحى ليس خياراً ، إنه عبق ينث عن تجربة ، يقول موظفاً (ساعة الحشر) وما يترشح عنها من بعد في الزمان :

مرّت فلامس شَعرها شَعري
فإذا الهوى بجوانحي يسري
مرّت ولم أرها ، سوى نبأ
عذب البشائر ذاع في صدري
القلب يعرفها بمشيتها
بالظل ، بالأنفاس ، بالسحر
ياليت شَعرينا إذ اعتنقا
عُقدا فما انفرطا مدى الدهر
بل ليت مسرعة الخطى وقفتْ
ووقفتُ حتى ساعة الحشر

أشكو الغرام لها فتبسم لي

وتلين إن أسمعتها شِعري[41]

تستوعب هذه الإيقونات تكوينات تفرز دلالة روحية خاصة ، تترشح عنها عبر بعدها الديني ، شبعت النص برؤيا مفتوحة يعمقها الشاعر باختيار شفرات خاصة يعبر بوساطتها عن قدرته الشعرية في حدود التزام مواقف إيديولوجية ، تشف في النص خلال اختياره تلك الشفرات التي تكمن في منحنياتها أبعاد كثيرة يستوعبها الشاعر في وعيه الذاتي ليدخلها في صلب النص بعد أن يفتح لها آفاقا حادة للدلالة الموحية في صميم العمل الشعري ، فتكون بتوظيفها في النص أداة إيضاح ، كما تمتلك في ذاتها إضافة شعرية راقية ، منها قوله في (الأهلة) وما تثيره من أبعاد في كيان المسلم :

أغار من الظلام على قرانا

فأحرقهنَّ ، سرب من جراد

كأنّ مياه دجلة ، حيث ولَّى ،

تنمّ عليه بالدم والمداد

أليس هو الذي فجأ الحبالى

قضاه ، فما ولدن سوى رمادٍ؟

وأنعل ، بالأهلّة في بقايا

مآذنها ، سنابك من جواد؟[42]

ولعل الرؤيا الشعرية التي تنطوي على فتح خاص ينتمي إلى عالم روحي بعيد ، تسعى إلى التعبير عن شخصية الشاعر وتوجهاته الروحية ، التي تشف عنها القصيدة عبر مكونات بنائها الدلالية ، كقوله في ذكرى (المعراج) :

تذكّرت والميلاد حال بنوره

شعاعاً من المعراج ذكراه مطهر

سما من مطاوي نومه يقصد السما

نبـيّ تلقاه البراق المطهر[43]

والشاعر في اختياره أقانيمه الخاصة تلك ، يسعى إلى فتح نافذة بين جماليات النص الشعري وواقع تجربته الخاصة ، ليجيء النص وفق هذه الرؤيا محملاً بشعرية خاصة تنث عن أسلوب متميز للسياب عرف به 0

ولعل التراث الديني وفق توظيف ثيمات خاصة به في النص الشعري ، يدعم معاني تستعاد من واقع التراث الذي ينشئ عبر دلالة إيقونات تفصح عن اتجاه يسير بدلالة النص نحو توضيح معاناة أو فكرة في قالب شعري متميز، مثلاً كان توظيف (الطور) في قصيدة (نسيم من القبر) يأخذ مساراً خاصاً بالتراث الديني الذي تشبعت به الذاكرة المحلية ، مساراً يختار من الإنسان ووعيه وأحلامه والأشياء والمكان والزمان لحمته وسداه ، آخذاً محاوره من كينونة الذات التي تختزن في ذاكرتها الكثير مما ترشح عن إشارات تعود إلى عالم روحي ، يختزن في داخل كينونته التراثية العديد من الأسرار والرؤى والخيال ، جاعلاً من (الصور) علامة خاصة لتأويل فكرته التي تنز عنها القصيدة لاستقبال دلالة النص الكلية ، ورفدها بالمزيد من إشارات التأويل والحدس ، تضفي على النص أبعادا روحية مميزة في قوله :

كنفخ الصور يسمع وقعه الموتى ، هو المرض
تفكّك منه جسمي وانحنتْ ساقي
فما أمشي ، ولم أهجركِ ، إني أعشق الموتا
لأنكِ منه بعض ، أنتِ ماضيَّ الذي يمضُ
إذا ما اربدت الآفاق في يومي فيهديني![44]

فكان الإتكاء على المفردة هو الإنتقاء الذي يمارسه النص ، وتحديداً الإتكاء على الدلالة الموحية التي تباشرها المفردة المختارة ، حيث يتداعى صداها إلى ذاكرة النص رافداً إياها بروح معبرة عن قيمة آتية من زمن روحي بعيد ، تستعاد بالفعل الشعري ذاته ، ومنها قوله في (الأذان) :

ومن مسجد القرية المعتم
تلوّى ، كما رفّ فوق السفين
شراع حزين ،
أذانٌ (هو الله باق ، وزال
عن الأرض إلاه ، الله أكبرْ؛[45]

وهذا الرصيد الدائم في ذاكرة المسلم ، الظاهر في بعض الأحيان والمستتر في أحيان أخرى ، يمكن استشفاف بعض خيوطه في شعر السياب من خلال هذه الرموز التي تمتلك في ذاتها طابعاً روحياً ، وكأنه نقطة انطلاق مهمتها تنظيم أساس للفوضى التي قد تمتلك سطح النص عبر تداعيات متشابكة وأحداث تتلملم خيوطها لتتوحد تحت ذاكرة العنوان ، الذي يختصر مسبقا الدلالة العامة للنص عبر رؤية روحية معينة خاصة بقناعة الشاعر، حينما نقرأ :

محمد النبيُ في ((حراء)) قيّدوه

فسمّر النهار حيث سمّروه
غداً سيُصلب المسيحُ في العراقْ ،
ستأكل الكلابُ من دم البُراقْ[46]

الجو التاريخي الأثر يبث موجاته فيعبر الشاعر خلالها عن روحه الممزقة ، عندما يكون الكون عدواً شرساً ينتزع المسميات الجميلة التي تسكنه ، عندما تسيطر الفوضى على روحه ليستحيل الفراغ في داخله إلى الرفض والتمرد ، فيبعثر انهزامه وضعفه عبر توظيفه لمسميات روحية كثيفة الحضور في الوجود الكياني العام للمسلم ، فنراه هنا يأخذ من رمز (البراق) ، وهو الجواد الذي أسرى عليه النبي محمد (ص) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلة المعراج ثيمة فاعلة في النص 0

إشارات دينية مسيحية :

كانت الإشارات الخاصة بالديانة المسيحية بادية الظهور في ديوان السياب ، وتمثل هذه الإشارات دلالة تنطوي على وعي الشاعر وثقافته المفتوحة على تلك الديانة بصورة خاصة ، ولعل الارتباط الروحي الذي تميز به السياب مع شخصية السيد المسيح ، الذي نراه بادياً في استلهامه أفعاله وأقواله والكثير مما يخصه في نصوصه طوال مسيرته الشعرية ، ما يفسر دخول ثيمات خاصة بالديانة المسيحية في صلب العمل الشعري ، الذي يحاول أن يحمله مهمة الإفصاح عن معاناته وفكره ، واضعاً تلك الإشارات في فضاءات النص بإبداع حالة يربط بها ما توحيه الإشارة المنتقاة مع واقع تجربته ، كذكره لـ(ماء العماد) في قوله :

وجاء الشام يسحب في ثراها
خطى أسدين جاعا في الفؤاد؟
فأطعم أجوع الأسدين عيسى
وبلَّ صداه من ماء العماد[47]

وكان وعي الشاعر الخاص بتلك الإيقونات المنتزعة من واقع ديني مميز ، قدم للشاعر أرضية صلبة يسير عليها تتوحد فيها حكمة الماضي وشعرية الحاضر ومعاناته 0

وكان استعمال السياب لهذه الثيمات دخول شعري خاص في منطقة حادة مفتوحة على جوانب عدة ، كونها تشمل ديانة أخرى لا ينتمي إليها الشاعر شخصياً 0

والركون النصي إلى هذه الرموز لدى السياب ، ينفتح شعرياً لتحقيق جمال فني في الحداثة الذي تفتحه ثقافة الشاعر واطلاعه ، جاعلاً من رموزه وتبنيها فكرياً محوراً فاعلاً في تعميق الدلالة

الموحية للنص بأجمعه ، يكون واجهة تلقي الضوء على حاضر الشاعر الذي يستمد قوته من عناصر يجدها مبثوثة في أبعاد تلك الإشارات وما ينز عنها من صور وأحداث ، ((فبالإمكان اعتبار كل كلمة ذات معنى في عمل أدبي كلمة جديدة ، ولا يمكن لها أن تفسر تفسيراً تاماً بواسطة التقليد ، لكنها تكتسب هوية جديدة في السياق الخاص بها))[48] إشارته إلى (الصليب) في قصيدة (العودة لجيكور) يستحث بها خزيناً تراثياً لحكاية تمتلك رموزها إشارات واعية يمكن استحضارها للاعتبار في واقع التناقضات الذي يلف سواده حاضر الشاعر، إنها تقف على حد فاصل بين الشر والخير، الحق والباطل في واقع كوني يمتهن فيه الضعيف وتستباح كرامته ، يقول :

من الذي يسمع أشعاري؟
فإن صمت الموت في داري
والليل في ناري
من الذي يحمل عبء الصليبْ
في ذلك الليل الطويل الرهيب؟
من الذي يبكي ومن يستجيب
للجائع العاري؟
من يُنزل المصلوب عن لوحه؟
من يطرد العقبان عن جرحه؟
من يرفع الظلماء عن صبحه؟
ويبدّل الأشواك بالغار (*****)؟[49]

فيأخذ الشاعر من الصليب مساحة للإدلاء عن فكره ومعاناته التي يرشحها توظيفه لهذا الرمز المفتوح على آفاق واسعة في الدلالة المسيحية 0

اعتماد النص في توظيف هذه الإشارات يبنى على واقعية محدودة شيئاً ما ، إنما أكثر اتكائه على كثير من الخيال الذي يكون محور ربط بين الواقع التاريخي وتوحده مع التجربة المعاصرة للشاعر في فضاء النص ، ففي هذه القصيدة ((يسري بالرؤيا باحثاً عن مولد الروح ، عائداً من بغداد إلى جيكور على جواد الحلم من مدينة يمشي الموت على نهرها ، لا يستيقظ الماء فيها ولا تشرق الشمس))[50] 0

وعبر هذه الإيقونات يكون النص مرتبطاً بقيم مجردة لواقع التجربة ، يصقله الشاعر بخياله لتبني موقفه الحاضر، منها اتخاذه من فكرة (الماء والخبز، الدم واللحم) ثيمة دالة ((ترجع إلى تبني

الشاعر لموقف السيد المسيح ، وأعني به التأكيد على فكرة التضحية والفداء ، التي رافقت السياب في مرحلة من مراحل حياته والتي تجسدها كلمات المسيح خير تجسيد))[51] ، في قوله :

وفي كل مقهى وسجن ومبغى ودار
((دمي ذلك الماء ، هل تشربونه؟
ولحمي هو الخبز ، لو تأكلونه!))
وتموز تبكيه لاةُ الحزينه[52]

فالروح الدينية المسيحية تأخذ دوراً مهيمناً في النص عبر فقراته المتنوعة ، وعبر طغيان ثيمات خاصة بالديانة المسيحية ، يفتح بها الشاعر مادة معجمية لها روح خاصة بالمسيح ، منها مفردات: الصليب ، المسيح ، العذراء ، النصارى ، في قوله :

يا صليب المسيح ألقاك ظلاّ فوق جيكور طائرا من حديد
يا لظلّ كظلمة القبر في اللون ، وكالقبر في ابتلاع الخدود
والتهام العيون من كل عذراء كعذراء "بيت لحم" الولود
مرّ عجلان بالقبور العواري من صليب على النصارى شهيد
فاكتست منه بالصليب الذي ما كان إلاّ رمز الهلاك الأبيد
لا رجاء لها بأن يُبعث الموتى ولا مأمل لها بالخلود!
ويل جيكور! أين أيامها الخضر وليلات صيفها المفقود[53]

ويأتي هذا التوظيف الخاص ليفسر علاقة جدلية بين وعي الشاعر للحالة الخاصة المنبثقة من صلب الثيمة المنتقاة ، التي تثير حدثاً ما يسقطه على فضاء النص ، فوعي الشاعر في اختيار مكونات النص وفق هذا الإنتقاء جاء ذا قصدية واضحة ، إذ تتسرب ملامح خاصة روحية تستحضرها الثقافة الدينية المسيحية يشبع بها الشاعر روح النص للإيحاء باستحضار دلالة معنوية ، تنث على تجربة المعاناة التي يريد رسمها في فضاء النص ، وفي قوله :

ليت المسيح الذي داجى بشرعته
من باع مثواه ، راء فيك عن كثبِ
خرس نواقيسك الثكلى وداميةٌ
فيك الأناجيل ، والموتى بلا صُلُبِ
والحابس الماء عن جرحاك حمّلها
عبء الصليبين : من حمى ومن خشب[54]

المفردة هنا تكون تاريخاً للتجربة يكشفها ولوجها في النص الذي تفيض عليه بمدلولات تراكماتها المعنوية المنبثقة من وجودها الحي في التاريخ ، وهي بهذا المدلول استشراق في وعي الشاعر لمواجهة معاناته عبر استذكار رموز لمعاناة مرت بها البشرية في تاريخها المقدس ، فيقول:

وعند بابي يصرخ الأشقياء:

(إعصر لنا من مقلتيك الضياء

فإننا مظلمون!))

وعند بابي يصرخ المخبرون:

((وعزّ هو المرقى إلى الجلجلة (******)،

والصخر، ياسيزيف ، ما أثقله

سيزيف.. إن الصخرة الآخرون!))[55]

حيث يقتحم تجربة الماضي بمحصلة ثقافته العالية ليوظفها في فضاء النص فنياً كاشفاً عن شعرية واعية ، ويفتح أبوابا جديدة تكشف عن روحه المعذبة وفكره من خلال السياقات الدلالية التي يتبناها في توظيف تلك الإشارات ، وكأنها ضوء ينفتح على ذاته ليكشف تاريخها ومعاناتها وما تراكم على كينونتها من تجارب ، هي استحضار حي لمفردات تشف عن رساله يريد بثها عبر النص ، تتداخل بها ذاكرة الماضي الدينية مع صور الحاضر لمسارات قد تتطابق أحيانا حد الإتحاد 0

الهوامش:

(1) معنى الوعي الشعري بالتراث ، حاتم الصكر ، 66.

(2) الشعر العربي عند نهايات القرن العشرين – المربد الشعري الثامن ، إعداد : عائد خصباك ، 50 .

(3) الزمن في الأدب ، هانز ميرهوف ، 62.

(4) الرمز في الشعر العراقي المعاصر – رواد الشعر الحر، مسلم حسب حسين ، 116، 117.

(5) كتاب السياب النثري ، جمع وإعداد وتقديم : حسن الغرفي ، 84 .

(6) الأعمال الشعرية الكاملة ، بدر شاكر السياب ، 215 ، 216.

(7) السابق ، 219.

(8) السابق ، 149 ، 150.

(9) السياب ، عبدالجبار عباس ، 143 .

(10) الأعمال الشعرية الكاملة ، 245، 246.

(11) أثر التراث في الشعر العراقي الحديث ، علي حداد ، 157 .

(12) الأعمال الشعرية الكاملة ، 153.

(13) السابق ، 271.

(14) السابق ، 155.

(15) السابق ، 249.

(16) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د. عزالدين إسماعيل ، 203 .

(*) ((كان المسيح في عهده هو الذي مشى على الماء)) ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 228.

(17) المكان نفسه.

(18) السابق ، 199.

(19) السابق ، 233.

(20) هذا هو السياب ، مدني صالح ، 64 .

(21) الأعمال الشعرية الكاملة ، 287 ، 288.

(22) السابق ، 156.

(23) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، 33.

(24) الأعمال الشعرية الكاملة ، 313 ، 314.

(**)((حين هاجر النبي إلى المدينة اختبأ – والمشركون جادّون في أثره – في غار حاكت العنكبوت بيتها على بابه فبدا مهجوراً ولم يهتد المشركون إلى مخبأ محمد)) ، السابق ، 230.

(25) المكان نفسه .

(26) المكان ودلالاته في شعر السياب ، محمد طالب غالب البجاري ، 87 ، 88 .

(27) الأعمال الشعرية الكاملة ، 255.

(28) السابق ، 251.

(29) السابق ، 170.

(30) السابق ، 216.

(***) ((قصة يأجوج ومأجوج يعرفها كل من قرأ القرآن ، ولكن الأساطير الشعبية تضيف إليها إنهما يلحسان السور بلسانيهما كل يوم حتى يصبح في رقة قشرة البصل ، ويدركهما التعب فيقولان غداً سنتم العمل ، وفي الغد يجدان السور على عهده من القوة والمتانة... وهكذا ، حتى يولد لهما طفل يسمياه (إن شاء الله) فيحطم السور)) ، السابق ، 279.

(31) المكان نفسه .

(32) الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ، د. حسام الآلوسي ، 7.

(33) الأعمال الشعرية الكاملة ، 333 ، 334.

(34) السابق ، 359.

(****) ((عند المسلمين إن شداد بن عاد بنى جنة لينافس بها جنة الله هي (إرم) وحين أهلك الله قوم عاد اختفت إرم وظلت تطوف ، وهي مستورة في الأرض لا يراها إنسان إلا مرة في كل أربعين عاماً ، وسعيد من انفتح له بابها)) ، السابق ، 315.

(35) السابق ، 317.

(36) المكان ودلالاته في شعر السياب ، 87.

(37) الأعمال الشعرية الكاملة ، 365 ، 364.

(38) السابق ، 364 ، 365.

(39) السابق ، 534.

(40) السابق ، 244.

(41) السابق ، 467.

(42) السابق ، 217.

(43) السابق ، 536.

(44) السابق ، 346 ، 347.

(45) السابق ، 328.

(46) السابق ، 250 ، 251.

(47) السابق ، 218.

(48) اللغة في الأدب الحديث (الحداثة والتجريب) ، جاكوب كورك ، 18.

(*****) ((وألبسوا المسيح تاجاً من الشوك سخرية به)) ، الأعمال الشعرية الكاملة ، 229.

(49) المكان نفسه .

(50) بدر شاكر السياب والمسيح ، نذير العظمة ، 171.

(51) دير الملاك (دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر) ، د. محسن اطيمش ، 238.

(52) الأعمال الشعرية الكاملة ، 226.

(53) السابق ، 219.

(54) السابق ، 265.

(******) ((الجلجلة الجبل الذي حمل المسيح صليبه إلى قمته)) ، السابق ، 214.

(55) المكان نفسه.

المصـــادر:

- أثر التراث في الشعر العراقي الحديث ، علي حداد ، ط1، 1986، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد 0
- الأعمال الشعرية الكاملة ، المجلد 1 ، 2 ، بدر شاكر السياب ، العودة 2003 0
- بدر شاكر السياب والمسيح ، نذير العظمة ، مجلة الفكر العربي ، ع26 ، آذار 1982 ، بيروت 0
- دير الملاك (دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر) ، د. محسن اطيمش ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط2، 1986 0
- الرمز في الشعر العراقي المعاصر – رواد الشعر الحر، مسلم حسب حسين ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة البصرة ، 1990 0
- الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ، د. حسام الآلوسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط1، 1980 0

- **الزمن في الأدب ، هانز ميرهوف ، ترجمة ، د. أسعد رزوق ، مراجعة العوضي الوكيل ، الناشر، مؤسسة سجل العرب ، نشر هذا الكتاب مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة ، نيويورك ، أكتوبر ، 1972، مطابع سجل العرب 0**
- **السياب ، عبدالجبار عباس ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، د. ت 0**
- **الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1988، ط1 0**
- **الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د.عز الدين إسماعيل ، دار العودة _ بيروت _ 1981 0**
- **الشعر العربي عند نهايات القرن العشرين – المربد الشعري الثامن ، إعداد : عائد خصباك** ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1988، ط1 0
- **كتاب السياب النثري ، جمع وإعداد وتقديم: حسن الغرفي ، كلية الآداب ، فاس ، منشورات مجلة الجواهر، منشورات وتوزيع المكتبة العالمية ، مطابع دار الثورة للصحافة والنشر، بغداد 0**
- **اللغة في الأدب الحديث (الحداثة والتجريب) ، جاكوب كورك ، ترجمة ، ليون يوسف وعزيز عمانوئيل ، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد 1989 0**
- **المكان ودلالاته في شعر السياب ، محمد طالب غالب البجاري ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية ، جامعة البصرة ، 1998.**
- **معنى الوعي الشعري بالتراث ، حاتم الصكر، مجلة الأقلام ، ع3 ، آذار ، 1986، س21 0**
- **هذا هو السياب ، مدني صالح ، دار الرشيد للنشر، 1981، الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة والإعلام ، سلسلة دراسات (273) 0**